

في مطلع ربيع ١٥٣٣/٩٤٠ ، أصدر السلطان سليمان القانوني أمره إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا بالتوجه على رأس قوة من العسكر إلى أذربيجان ونجح في أخترق أذربيجان وأستولى على تبريز في عام ١٥٣٤ . ولتحقيق نتيجة حاسمة ضد الصفويين . سار السلطان على رأس الجيش في ذي القعدة من السنة نفسها متجها إلى تبريز . وفي نهاية ربيع الأول ١٥٣٤/٩٤١ ، التقى السلطان بالصدر الأعظم قربي تبريز . ومن هناك تحرك على رأس القوات العثمانية متجها إلى السلطانية جنوبي بحر قزوين للقاء طهماسب والأستيلاء على على عاصمته قزوين والأجهزة على الدولة الصفوية . وواقع هزيمة كبيرة ومأحقة بالجيش الصفوي بالقرب من نهر ( قزل اوزون ) في الجنوب الشرقي من أذربيجان . وانفتح الطريق أمامه على قزوين . ولكن مافشل في الشاه من مواجهة الجيش العثماني نجح في الطقس وسوء الأحوال الجوية . حيث هطلت الأمطار الغزيرة وتساقطت الثلوج واشتد البرد .

#### الأدارة :

بعد أن سيطرت الدولة العثمانية على العراق قسمته على أربع ولايات : بغداد وفيها ثمانية عشر لواء إضافة على المركز . والموصل وفيها ستة الوية . وشهرزور وفيه واحد عشريتن سنجقاً بما فيها القلاع ، والبصرة ولم يكن فيها سناجق لتركيبها العشائري وتجبي ضرائبها بالاتزام . وقد حدثت تبديلات فرعية في هذه التقسيمات . ويرأس الجهاز الحكومي الوالي وغالباً ما يكون برتبة وزير . ولولي بغداد صلاحيات اوسع مما لولاية الاخرين ، فكان له الحق في تعيين بعض الموظفين ومصادرة اموالهم ومسؤول وهو مسؤول عن الادارة المدنية والعسكرية . وعلية ضمان ولاء ولايته والمحافضة على امنها وقيادة الجيش في الحملات العسكرية . ويساعد الوالي الموظف يعرف باسم كتحدا . وهو يعاون الوالي في الشؤون العسكرية والسياسية وينوب عنه عند غيابه .

أما الدفتردار فهو المسؤول عن الأحوال المالية بتسجيل إيراداتها ومصروفاتها في سجل خاص . ويلي الوالي في المكانة الاجتماعية القاضي ، فهو المسؤول عن تطبيق العدل والاهتمام بالمسائل الشرعية والإشراف على جمع الضرائب ومراقبة الأسواق وغالبا ماتكلفه الحكومة بمراقبة عمل الوالي .

## عهد المماليك والأسر الحاكمة

شهد العراق ، منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وحتى منتصف القرن التالي تكون عدد من الحكومات المحلية في مدنه الرئيسية ، شأن معظم ولايات الدولة العثمانية عامة ، والولايات العربية منها بخاصة . فقد ادى ضعف السلطة المركزية ، والانحسار الفعلي للوجود العثماني المباشر عن اقاليمها العديدة ، الى قيام سلطات محلية قوية تتمكن من ملء الفراغ الناجم عن ذلك الانحسار ، فظهرت في اقاليم عربية مختلفة ، حكومات محلية نسقت بدرجات متفاوتة ، بين استقلالها الاداري والعسكري الفعلي ، وبين وجودها ضمن السيادة العثمانية الرسمية ، مثل آل العظم في دمشق ، وآل القرمانلي في طرابلس الغرب ، وحكومة علي بك الكبير في مصر . وكانت الولايات العراقية قد شهدت ، منذ مطلع القرن السابع عشر محاولات متعددة لقوى محلية مختلفة استهدفت تأسيس حكومات وراثية ، وكانت أبرز هذه المحاولات في النصف الأول من القرن الثامن عشر حين استطاعت قوى محلية ، بعضها جلب من الخارج تحت ضغط ظروف معينة ، ونشأت أجيال منه في العراق فاستعرق ، وهم المماليك الذين تولوا السلطة في بغداد والبصرة ، والبعض الآخر من اسر عراقية صميمة ، كالجليليين و العباسيين والبابانيين الذين تولوا حكم مناطق مهمة أخرى من العراق ، أن ساهموا جميعا ، في تغيير خصائص الحكم العثماني في البلاد تغييريا واضحا على نحو ميز عهدهم عن سائر عهود السيطرة العثمانية ، اسبغ عليه خصائص سياسية واجتماعية جديدة . وللمماليك ، في تاريخ هذه الحقبة ، دور بارز ، نظرا لقيام سلطتهم في بغداد ، وهي مركز الثقل السياسي والحضاري في العراق منذ العمر الاسلامي ، وشمول نفوذهم البصرة، ثغر العراق ومنفذ تجارته ، فضلا عن ممارستهم توجيه الأوضاع السياسية في انحاء البلاد الأخرى .

## ارتقاء المماليك السلطة

ميداني الحرب والسلم واستطاع أن يتسلم السلطة في العراق سنة ١٧٤٩م بعد فشل ثلاثة ولاة عثمانيين تولوا السلطة في اعقاب وفاة احمد باشا سنة ١٧٤٧م. ويظهر تسلّم سليمان آغا عجز السلطة العثمانية في اسطنبول عن فرض سيطرتها المباشرة حتى اصبحت امام أمر واقع تقر فيه بسلطة رئيس المماليك سليمان آغا. والواقع أن نشأة العديد من رؤساء المماليك في بغداد وعلاقتهم بالفئات المتنفذة بالمجتمع ساعد على تولي المماليك الحكم بتسلم سليمان آغا السلطة بصورة رسمية أخذت الدولة العثمانية تراقب الأوضاع في العراق عن كثب . واتجهت سياستها الى محاولة ابعاد المماليك عن الاحتفاظ بالسلطة ، قدر ما تسمح به الظروف . لذلك ما أن توفي سليمان آغا سنة ١١٧٥هـ /١٧٦١م حتى سارعت بترشيح وال من جانبها ( سعد الدين باشا والي الرقة ) ، لتأكيد كونها صاحبة القرار في هذا الشأن . ولكن هذا القرار العثماني لم يكن له وزن ازاء قوة المماليك ونفوذهم ، ولذلك فان صنع القرار النهائي ظل يعتمد على الشخص الذي يتفق عليه المماليك وغيرهم من ذوي النفوذ في بغداد ، ومن هنا فان تعيين المملوك (على أنها ) ليكون واليا على بغداد جاء بعد ان رجح وضعه على ستة ماليك منافسين ، ولم كن امام السلطان سوى اقرار ذلكوقد اصبحت عملية صنع القرار هذه ظاهرة تاريخية في عهد المماليك فأثر مقتل علي باشا المتهم بممالة إيران اندلعت ثورة تزعمها المملوك عمر آغا واعيان بغداد بعد بضعة أشهر من اعتقاله الحكم ، وجمع عمر آغا العلماء ونظموا مضبطة رشحوه فيها ليكون واليا على بغداد ، فأقر السلطان هذا الترشيح بعد ان حالت التطورات السريعة دون اعطائه الفرصة المناسبة . للبت في موضوع تعيين وال غيرهولم يكن تعاقب المماليك على السلطة ليثني الدولة العثمانية عن محاولاتها الرامية لاستعادة سيطرتها المباشرة ، ولذا فانه ما أن ختمت فترة العشر سنوات التي حكم فيها عمر باشا بالغزو الايراني للعراق ، حتى انتهزت الدولة العثمانية الفرصة لاقصائه والتخلص من هيمنة المماليك على الحكم ، حيث بعثت بقواتها الى بغداد بحجة التصدي للقوات

الايروانية تلبية لطلبمن عمر باشا ، غير أن أوامر القيادة العثمانية إلى قائد الحملة مصطفى الأسبيناقي كانتصريحة وهي تقضي بتوليه ولاية بغداد وتصفية نفوذ المماليك وهذا ما حدث بالفعل سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م غير أن تطور الأحداث و تأزم الوضع الداخلي أثبت من جديد عم الاجراءات العثمانية ، فقد كانت قد سقطت في نهاية الأمر بأيدي الايرانيين . كما أن تحركا عسكريا مملوكيا كان قد اندلع في وسط العراق هدفه اسقاط الوالي العثماني الجديد. ولم يجد السلطان بدا من عزل مصطفى الاسبيناقي بعد ثمانية أشهر فقط وتعيين وال جديد هو عدي باشا كاجراء سياسي لتهدة الاوضاع، غير أن المماليك استمروا في تحركهم تأكيدا لرفضهم القطعي في التخلي عن السلطة لغيرهم ، ولذا فان عدي باشا لم يمكث في السلطة سوى سبعة عشر يوما ، حيث اضطر للتنازل الى قائد الحركة المملوكة عبدالله آغا

فأذعن السلطان للامر واصدر فرمانه باسناد ولاية بغداد الى هذا المملوك سنة ١١٩١هـ / ١٧٧٦ م وتميزت الحقبة ١٢٤٧ - ١١٨٩هـ / ١٨٣١ - ١٧٧٥م ، بتعاقب ولاة مماليك على السلطة في بغداد ، وظهر دور ملحوظ للقوى الاوربية في اسناد ترشيح احد الاغوات المماليك لولاية بغداد ممن يجدون في تعيينه ما يحقق لهم المزيد من المصالح في العراق الأمر الذي اضاف عاملا جديدا في ابقاء السلطة بيد المماليك وترسيخ السيطرة العشائية غير المباشرة ،فكان تعيين سليمان باشا الكبير سنة ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م بدعم كل من المقيم البريطاني في البصرة والسفير البريطاني في العاصمة اسطنبول . كما جاء تعيين خلفه علي باشا سنة ١٨٠٢م بتدخل من المقيم البريطاني في بغداد بينما وصل سليمان باشا الملقب بالصغير الى الحكم سنة ١٨٠٨م ، باسناد من قبل الفرنسيين، حيث مارس السفير الفرنسي في اسطنبول دورا كبيرا في هذا الشأن.

المماليك طبقة اجتماعية سياسية متنفذة

ظل المماليك خلال سنوات الستينات والسبعينات من القرن الثامن عشر يشكلون فئات صغيرة استخدمت بصورة رئيسة كسرايا عسكرية ، ولم يظهر لها دور اجتماعي كبير ، غير انه بمجيء سليمان باشا الكبير سنة 7801م تكاثرت اعدادهم حتى اصبحوا يشكلون طبقة اجتماعية متميزة في المجتمع البغدادي لها محلاتها الخاصة بها، كما ازدادت مساهمتهم في الحياة العامة .وتعد المصادر عهد سليمان الكبير اوج قوة للماليك ، حيث انه أعاد تنظيم تشكيلاتهم العسكرية ، وكون فرقة خاصة قوامها الف مملوك اعتمد عليها في تثبيت نفوذه خارج العاصمة، واسند الوظائف السياسية والادارية والمالية المهمة اليهم ، ضمن خطة استهدفت أبعاد العراقيين عن هذه الوظائف ، وقد استمر ذلك حتى نهاية حكم المماليك. ان هذا الوضع الاجتماعي السياسي الذي فرضه المماليك على الأهالي لم يكن يرضى المجتمع البغدادي ، فلم يكن مرضيا عند وجهاء بغداد والاغوات الكرج يستأثرون بالمناصب الكبيرة والمزارع المغلة ، فاعلن بعضهم تدمره . وفي سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م قاد سليمان

الشاوي رئيس عشائر العبيد الذي كان يتولى منصب ( باب العرب ) ، ثورة هزت كيان المماليك و كادت أن تقوضه

### محاولات العثمانيين لاقصاء المماليك

ان اخفاق الدولة العثمانية في تعيين ولاية من قبلها في العراق دفع الباب العالي إلى اعتماد اسلوب جديد لضرب حكم المماليك من الداخل ، وذلك بالتنسيق مع الطامعين بمنصب الباشوية من جهة والقوى

السياسية المحلية من جهة اخرى ، وقد برز هذا الاتجاه في عهد سليمان باشا الصغير (١٢٢٣ -١٢٢٥هـ/ ١٨١٠ - ١٨٠٨م ) والذي تجاوز في سياسته حدود من سبقه من ولاية المماليك ، فقد الغى العديد من الضرائب والرسوم التي كانت سارية في الدولة العثمانية ، وحاول التحكم

في تعيين ولاية الموصل ، بغية فرض سيطرته المباشرة عليها كما انه تجاوز حدود ولايته بالتدخل المسلح في أراضي تابعة لولاية ديار بكر ، ثم توقف عن ارسال الأتاوة السنوية للباب العالي.

ثم ان سليمان باشا الصغير عمل على تحديد نشاط المقيم البريطاني في بغداد ، وحاول تحدي تقوذ البريطانيين في العراق ، وبذلك اتبع سياسة تناقض سياسة الدولة العثمانية التي كانت تحرص آنذاك على العلاقات الودية مع بريطانيا. اعتبرت الدولة العثمانية سلوك الوالي المملوكي محاولة عملية من جانبه للاستقلال التام عنها ، وكان السلطان محمود الثاني قد عزم على انهاء الحكم غير المباشر في الولايات ، فقرر العمل على اقضاء الممالك نهائيا عن الحكم حتى وان تطلب ذلك استخدام القوة العسكرية . وارسل في عام ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م حالت محمد سعيد ، الذي عرف بقدرته السياسية في هذا المجال، وزوده بفرمان ترك فيه مكان اسم الوالي شاغرا ليملاه حالت باسم من سيتمكن من تنصيبه بدلا من سليمان باشا الصغير . ويبدو أن الوالي ادرك هدف المبعوث السلطاني الذي حذره من مغبة الاستمرار في سياسته ، فطلب اليه مغادرة بغداد • واتصل المبعوث بوالي الموصل محمود باشا الجليلي ، ووالي السليمانية عبدالرحمن باشا الباباني واطلعهما على المهمة المكلف بها وما يجب اتخاذه من عمل عسكري لتنفيذ أمر السلطان . كما عمل في الوقت نفسه - وهو في الموصل - على الاتصال بعدد من المماليك الذين عزلهم سليمان الصغير ممن كانوا ناقلين عليه. اثم تقدمت نحو بغداد قوات عسكرية تقدر بخمسة عشر ألفاً ، وعند اقترابها من المدينة ، أعلنت الانكشارية التي اتصل بقادتها المبعوث العثماني تمرداها على الوالي المملوكي الذي لم يستسلم ، وتمكنت قواته من استرداد القلعة التي استولوا عليها، ثم وقعت معركة عنيفة في رمضان ١٢٢٥هـ / تشرين الاول ١٨١٠م اسفرت عن اندحار المماليك ومقتل الوالي • بعد أن تحققت المرحلة الاولى من الخطة ، برزت مشكلة من سيتولى السلطة ويبدو أن

المبعوث كان يرغب باناطتها الى اغا الانكشارية باعتبار ان ذلك يعني عودة الحكم العثماني المباشر . وفي الوقت نفسه أبدى عبدالرحمن الباباني الذي كان طامعا بولاية بغداد رغبته بتولي السلطة ، وتعهد بان يزيد المبلغ الذي تبعثه بغداد إلى خمسة اضعاف . غير ان الباب العالي استشار حالت افندي الذي بعث بتقرير الى اسطنبول لم يحبذ فيه اعهاد ولاية بغداد للباشا الباباني مق ار بان المماليك وان كانوا مصدر ازعاج للدولة وترغب في التخلص منهم الا انهم لم

يلتجئوا يوما الى دولة اجنبية . فلما علم بذلك عبدالرحمن الباباني أعلن اسناده لاحد المماليك ممن كان لاجئا لديه، فاضطر المبعوث، الى القبول بتعيينه بمنصب نائب الوالي، ولكن في الوقت نفسه أخذ يخطط لاطاحته . فعرض الأمر على قائد قوات الموصل احمد الجليلي الذي رفض تنفيذ الخطة بالرغم من أن المبعوث قد وعده بباشوية بغداد . ويبدو ان احمد استكبر خطورة العملية تقديرا منه لقوة المماليك ، فما كان من المبعوث الا أن أوعز لرئيس الانكشارية بالتحرك واستلام السلطة . وقد عمد هذا قبل اعلان حركته إلى تحريض السكان لاجراء القوات البابانية من بغداد ، ثم اعقب ذلك بالقيام بحركة فاشلة تمكن المماليك من احباطها فاضطر المبعوث الى ان يملا فرمانا باسم المملوك عبدالله اغا ، و بذلك اخفق الباب العالي من جديد في ابعاد المماليك عن الحكم.

### الأسر الحاكمة في العراق

امتد حكم المماليك ، المباشر إلى ولاية شهرزور وولاية البصرة ومنطقة ماردين ، فضلا عن بغداد نفسها ، وبذلك فقد كانت سلطتهم تشمل معظم انحاء العراق الحالي وجزءا من الجزيرة . كما انهم مارسوا اشرافا غير مباشر على مناطق اخرى ، اهمها إمارة بهدينان التي يشمل حكمها العمادية وزاخو وعقرة ، وكانت هذه الإمارة تحكمها أسرة عباسية وراثية تنتمي نسبا الى أحد أحفاد الخليفة المستعصم العباسي ، يدعي بهاء الدين فنسبت اليه ، وعرفت بالبهدينية)\* .



---

(\*) أن التأسيس الفعلي لهذه الإمارة كان في أواخر القرن الرابع عشر ، ويتضح من تتبع تاريخها السياسي انها نشأت اولاً في أعالي حوض الزاب الأعلى ثم امتدت غرباً فضمت العمادية ، واتخذتها مركزاً لها ، ومنها توسعت فشملت مناطق جبلية واسعة من سفوح جبال حكاري حتى ضفاف الراب ، وقد خضع أميرها (السلطان حسن) الى الدولة العثمانية. ونال امرؤها التالين القبا عثمانية مثل " بك " ، ثم " باشا ."

وبعد ان كان الاشراف على شؤون الإمارة يأتي مباشرة من الدولة العثمانية المركزية ، تولى ولاية بغداد هذه المهمة منذ مفتح القرن الثامن عشر ، فاصبحت ولاية بغداد هي المسؤولة عن اقرار تولي امراء هذه الأسرة الحكم . وشبيه بهذا الوضع ما كانت عليه الإمارة البابانية (\*) ، في مناطق كوي وحرير وقلاجولان ، فقد تولى ولاية المماليك مهمة الاشراف على شؤون هذه الإمارة الوراثية ، وتدخلوا في تعيين امرائها وعزلهم . ظهرت هذه الإمارة في أواخر القرن السابع عشر ، وهي لتنتمي الى جد لها يدعى ( احمد الفقيه ) نال رتبة عثمانية هي ( بك ) (ومنع ملكية قريته ) ( بشدر ) فكان ذلك بمثابة أول نواة للإمارة. وفي عهد ولده بابا سليمان ترسخ حكم الإمارة وتوسع فشمّل شهربازار و قلاجولان وما حوالها . واتخذ البابانيون الأخيرة عاصمة لإمارتهم حتى انشائهم السليمانية سنة ١١٩١ هـ / ١٧٨٤ م . ونظراً لخدمات الأسرة ودورها في عمليات حسن واحمد باشا في ايران ، فقد أسند حكم تلك المنطقة الى احد ابناء سليمان بك مع منحه لقب باشا وبذلك أصبحت بابان « باشوية » ذات حكم محلي مستقر.

---

(\*) ظهرت هذه الإمارة في أواخر القرن السابع عشر ، وهي لتنتمي الى جد لها يدعى ( احمد الفقيه ) نال رتبة عثمانية هي ( بك ) (ومنع ملكية قريته ) ( بشدر ) فكان ذلك بمثابة أول نواة

للإمارة. وفي عهد ولده بابا سليمان ترسخ حكم الأمانة وتوسع فشمّل شهربازار و قلاجولان وما حوالها . واتخذ البابانيون الأخيرة عاصمة لإمارتهم حتى انشائهم السليمانية سنة ١١٩١هـ / ١٧٨٤م . ونظرا لخدمات الأسرة ودورها في عمليات حسن واحمد باشا في ايران ، فقد أسند حكم تلك المنطقة الى احد ابناء سليمان بك مع منحه لقب باشا وبذلك أصبحت بابان « باشوية » ذات حكم محلي مستقر .

أما ولاية الموصل فقد ظلت تحتفظ بحكم خاص يتولاه ولاية ينتمون الى الأسرة الجليلية العربية منذ أن تولى اول ولاتهم اسماعيل باشا الجليلي الحكم سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م . ولقد ادى نجاح الوالي الشجاع الحاج حسين باشا الجليلي في الدفاع عن المدينة والاستبسال في المقاومة ضد الحصار الذي فرضه نادر شاه عليها سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م الى تعزيز مكانة هذه الأسرة وزيادة شعبيتها ، بل وارتفاع شأنها لدى الدولة المركزية نفسها ، فعهدت الى الحاج حسين باشا الجليلي ولايات مهمة عديدة ، كانت تعاني من ضغط إيراني توسعي ، او من اضطرابات داخلية ، هي البصرة ، ثم ادرنه في جنوب الاناضول ، ثم قارص في شرقيه ، وكوتاهية في غربيه وسيواس ثم حلب . وكان ابنه محمد أمين باشا الجليلي احد ابرز القادة العسكريين الذين تولوا امر الدفاع عن المدن العثمانية امام الروس في اوربا الشرقية سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م ، وتولى عبدالفتاح باشا الجليلي، دورا مهما في الساحل السوري ، حين شارك في التصدي لقوات علي باك الكبير سنة ١١٨٥هـ / ١٧٧١م وتولى ولاية طرابلس اضافة إلى ولاية الموصل . وكان حكم محمد باشا الجليلي الطويل ( ١٢٢١ - ١٢٠٤هـ / ١٨٠٦ - ١٧٨٩م) يتميز بالاستقرار السياسي و بتحسن الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، اشاد به عدد من الرحالة مروا بالمنطقة آنذاك . فذكر اوليفيه لنفسه الذي مر بالموصل سنة ١٧٩٤م انه سمع تجار المدينة وسكانها يثنون مرارا على الباشا ، ويحمدون له حسن ادارته ، والشرطة التي شكلها في كل أنحاء ولايته ، كما وجدهم معجبين بنزاهته ، و نزاهة موظفيه ،

وراضين كل الرضا عن الهدوء الشامل والعناية بحماية التجارة، وتوفير المواد الغذائية.. وكان حرص هذا الوالي - على ما يذكره اوليفييه به يهتم ( بالمحافظة على النظام ، وحماية الضعفاء وضبط ذوي النفوذ اكثر من اظهار فخفة لا تحتاج اليها ) . وبهذا اصبحت الموصل محطة للتجار ومركزا للنشاط التجاري ، واتسعت الصناعات ، وتضاعفت المحصولات الزراعية ، وازداد عدد السكان كثيرا ، وراى الشعب الرفاه فذاق فوائد الحياة الخالية من التحريض والاضطراب ، اما الباشا نفسه فكان قويا في مركزه ، ومعصدا بحب الشعب.

وكانت « فرامين » تولية الجليليين في الحكم تصدر من الدولة العثمانية المركزية ، الا أن أثر وساطة ولاية المماليك في اختيار المرشحين از داد تدريجيا وبخاصة في عهد والي بغداد الشهير داود باشا ( ١٣٤٧ - ١٢٣٢ هـ / ١٨٣١ - ١٨١٧ م). ورغم احتدام حدة التنافس الاوربي على التغلغل في شؤون الولايات العراقية ، الا أن الولاة الجليليين وقفوا في وجه أية محاولة من هذا النوع ، فلم تنشأ في الموصل ، في عهدهم ، اية قنصليات اجنبية في الوقت الذي انشئت فيه قنصليات في بغداد والبصرة منذ فترات مبكرة ، ولم يأبهوا لمحاولات المقيم البريطاني في بغداد لاثارة النفرة بينهم وبين والي بغداد بهدف تحقيق مزيد من التغلغل مؤكدين في ذلك أن قدرة العراقيين على تجاوز الخلافات الجانبية عند احتدام الخطر المهدد لوحدة التراب العراقي نفسه

## احتلال بغداد و توطيد السلطة الجديدة

دخل الصدر الأعظم بغداد في ٢٤ جمادى الثانية ٩٤١ هـ / ٣١ كانون الأول ١٥٣٤ م ،  
وبعد بيومين دخلها السلطان سليمان وسط مظاهر الابهة والفخامة و ومن الجدير بالذكر ان  
السلطان لم يسمح لجيشه بدخول المدينة خوفا من عدم امكانية كبح جماهم ، وشدد على عدم  
الحاق الأذى بالاهالي ، فكسب رضاهم ، كما سعى الى تعزيز ولاء السكان فقام بزيارات  
للاماكن المقدسة ورصد الأموال له ، و امر بعض المشاريع العمرانية ومن أهمها بناء سد ترابي  
الوقاية كربلاء من الفيضان وتوسيع الترعة المعروفة بالحسينية لجلب المياه العذبة من الفرات  
اليها فامتدت في الأراضي المحيطة بها البساتين وحقول القمح ، وهرع الأعيان وشيوخ القبائل  
والوفود من مختلف المدن الى بغداد التقديم ولأئهم للسلطان العثماني ، كما وصل بغداد الشيخ  
راشد ابن أمير البصرة مغامس بن مانع ، يعلن انضمام البصرة والحويزة ولورستان الي  
العثمانيين ، وبذلك سيطر العثمانيون على واحد من الطرق التجارية المهمة التي تربط الشرق  
الأقصى باور با ، كما سيطروا على الرأس الشمالي للخليج العربي •  
وترتبت عليهم نتيجة لذلك ، مسؤوليات دفاعية جديدة ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي  
فأمر السلطان باعداد الاسطول العثماني لمنازلة البرتغاليين الذين تزايد نفوذهم في البحار  
العربية، ثم عين حاكم ديار بكر سليمان باشا الطويل واليا على بغداد ، وابقى فيها حامية مؤلفة

من ١٠٠٠ جندي مزودين بالأسلحة النارية و ١٠٠٠ فارس ، وهي لها تمرينا كافية للدفاع  
عنها في حالة تعرضها لهجوم إيراني ، وعاد بطريق اذربيجان ، واضطر الشاه طهمااسب الي  
طلب الصلح ، ووافق سليمان على الطلب واخلى تبريز مقابل تعهد الشاه بعدم الاعتداء •

## الادارة

بعد ان سيطرت الدولة العثمانية على العراق قسمته على أربع ولايات : بغداد ، وفيها ثمانية

عشر سنجقا أو لواء اضافة الى المركز ، والموصل ، وفيها ستة سناجق، وشهرزور وفيها واحد وعشرون سنجقا بما فيها القلاع ، والبصرة ولم يكن فيا سناجق لتركيبها العشائري وتجبى ضرائبها بالالتزام . وقد حدثت فيما بعد تبدلات فرعية في هذه التقسيمات . ويرأس الجهاز الحكومي الوالي وغالبا ما يكون برتبة وزير ولوالي بغداد صلاحيات أوسع مما لولاة الولايات الأخرى ، فكان له حق تعيين بعض الموظفين ومصادرة الأموال وهو مسؤول عن الإدارة المدنية والعسكرية ، وعليه ضمان ولاء ولايته والمحافظة على أمنها وقيادة الجيش في الحملات العسكرية، ويساعد الوالي موظف يعرف باسم كتحدا ( خففت فيما بعد إلى كهية ) وهو يعاون الوالي في الشؤون العسكرية والسياسية وينوب عنه عند غيابه أما الدفتردار فهو المسؤول عن الأحوال المالية بتسجيل ايراداتها ومصروفاتها في سجل خاص - ويلي الوالي في المكانة الاجتماعية القاضي، فهو مسؤول عن تطبيق العدل والاهتمام بالمسائل الشرعية والاشراف على جمع الضرائب ومراقبة الأسواق ، وغالبا ما تكلفه الحكومة المركزية بمراقبة سلوك الوالي. ويساعد القاضي في تنفيذ اوامره موظفان ، يلقب الأول ب ( صوبائي ) وهي رتبة عسكرية- وهو بمثابة رئيس للشرطة في وقت السلم وقائد فرقة في وقت الحرب . والثاني يعرف باسم) احتساب اغاسي) - أي المحتسب ، وواجبه معاونة الصو باشي والاشراف على تنفيذ الامر ومراقبة الأسواق ، وبالإضافة الى هذه المناصب هنالك : أغا الانكشارية وهو قائد الحامية، و (المكتوبجي) - كاتب الرسائل و ( مهردار ) حامل الاختام و (خزنة دار ) أمين الصندوق و احتشامات آغاسي ) - رئيس التشريفات ، و ( روزنامه جي) - كاتب الوقائع اليومية ، وغيرهم من الموظفين الاقل مرتبة.

### توطيد السلطة

وكانت كبرى المشكلات التي واجهت الحكم العثماني لل ع ارق في ولايتي شهرزور والبصرة.

فالأولى في منطقة الجبال على الحدود مع الدولة الصفوية ، ولهذا تعرض الحكم العثماني فيها الى الاخطار باستمرار . أما البصرة ، فهي تقع في منطقة قبائل شديدة المراس، وكانت دائما هاتنازع سلطات بغداد . وقد أبدى العثمانيون مرونة مع الأسر المحلية المنتفذة التي أعلنت ولاء .ومنها اسرة الشيخ راشد بن مغامس التي كانت تحكم البصرة واقراها السلطان سليمان القانوني في حكمها ، كما مر بنا ، ولكن اجراءات العثمانيين في تثبيت سلطانهم على منطقة البصرة والتحكم بشبكة الطرق التجارية ، دفعت اسرة ارشد الى الثورة ، فكانت هذه الثورة من جهة ، ورغبة العثمانيين في السيطرة الفعلية على أرس الخليج العربي ، من جهة اخرى ، سبب قيام الحملة العثمانية الكبيرة التي وجهت الى البصرة بقيادة والي بغداد اياس باشا في ١٥٤٦م ،وسعي القائد العثماني في خلال تقدمه الى اخضاع القبائل المنتشرة بين بغداد والبصرة ونجح في الحاق الهزيمة بشيخ مشايخ ال قشعم الذي يلقب بشيخ العراقيين ( اي شيخ الكوفة والبصرة ) ، ثم فرم آل مغامس ودخل البصرة حيث ربطها بالحكم العثماني المباشر . و بانهيار زعامة آل قشعم ، برزت زعامة قبيلة المنتفق التي اصبح لها النفوذ فيما بعد. غير أن الاجراءات التعسفية التي اتخذها العثمانيون ادت الى ثورة تزعمها علي بن آل عليان كبير مشايخ الجزائر في ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م ، وكلف السلطان والي بغداد (تمرد على باشا) لاختماد الثورة، واصدر امره الى والي سيواس محمد باشا الباطجي للتقدم على رأس قوة من الانكشارية للمساعدة في العملية .وتقدمت القوات العثمانية الواسط ومنها توجهت الى المدينة (قرب القرنة) مركز آل عليانه وبعد معارك شديدة بين رجال القبائل والقوات المهاجمة، فشل العثمانيون في تحقيق نتيجة حاسمة وبسبب طبيعة المنطقة غير الموالية للحروب النظامية ، وامام بسالة المقاومة ، وجد التقاليد العثماني «تمرد على باشا ، همه مجبرا على الانسحاب ، وكلفه فشله منصبه ، حيث (\*)تشمل الجزائر منطقة المستنقعات ما بين الكوفة و واسط في الشمال والبصرة في الجنوب و فيها حوالي ثلاثمائة جزيرة صغيرة بنيت بعضها القلاع.

صدر الأمر بعزله وتعيين محمد الباطجي باشا لمنصب والي بغداد ، ولكن الدواة ، ظرا لأهمية جنوب العراق . ولا سيما البصرة من الناحيتين الاستراتيجية والتجارية ، وخوفا من استغلال البرتغاليين - حلفاء الصفويين - المتربصين عند مداخل الخليج ، استمرت في سياستها الهادفة الى اخضاع القبائل واتباع سياسة قمعية شديدة . وقد أدى فشل الأسطول العثماني في صراع مع البرتغاليين ( ١٥٥٣ - ١٥٥١ م ) ، الى اضعاف هيبة العثمانيين في المنطقة ، فاستغلت القبائل العربية ذلك لمعاودة الثورة واستطاع آل عليان في ٣٥٥١م ، صد حملة عثمانية وقتل عدد من أفرادها . وتزايدت جرأة القبائل واخذت تهاجم الحامية العثمانية في البصرة بشكل متواصل ، واشتدت ثورة آل عليان خطورة في عام ٩٠٤ - ٩٧٥ هـ / ٦٥١ - ٦٦٥١٧م ، فنظمت الدولة حملة كبرى في ٦٦٥١م ، اشتركت فيها حاميتا شهرزور والموصل كما أرسلت حوالي ٤٥٠ سفينة مزودة بمئتي مدفع عن طريق بيرهجك عبر الفرات ، وانيطت قيادة الحملة بوالي بغداد اسكندر باشا ، واستطاع العثمانيون تحقيق بعض النجاح، ولكن رجال القبائل واصلوا المقاومة بأسلوب حرب العصابات وكبادوا القوات العثمانية خسائر كبيرة ، فلم يكن من اسكندر باشا الا ان واصل ضغطه وامر ببناء بعض القلاع في المناطق الاستراتيجية لتعزيز الوجود العسكري ، ولكنه فشل في اح ارز ناصر حاسم على رجال القبائل و فأمر بقطع اشجار النخيل وإتلاف المحاولات التي تعيش عليها القبائل ، مما اضطر علي بن عليان الى طلب الصلح لقاء دفع ضريبة الى خزينة البصرة و تسليم أحد أولاده رهينة لدى السلطان . ولكن الأمن لم يستقر ، وظلت الادارة مضطربة ، وقلت واردات الولاية حتى اصبحت لا تكفي لسد نفقاتها ، فأضطر الوالي علي باشا الى تسليم امور الولاية الى كاتب الجند افراسياب بن أحمد سنة ١٥٩٦ / ١٥٠٠م ، لقاء دفع ثمانية أكياس رومية ( حوالي ٤٠٠٠٠ قرش ) على ان تستمر الولاية مرتبطة بالدولة العثمانية وتدفع الجزية السنوية للخزينة المركزية . وبذلك تشكلت

امارة لاتدين للدولة الا بولاء اسمي الى ان زالت في ١٦٦٨م ، اثر الحملة العثمانية التي قادها والي بغداد قرة مصطفى لانهاء استقلالها ، وقد خلفت إمارة آل افراسياب في خلال حكمها للبصرة درجة من الرخاء والاستقرار والرفاه يفوق حال مدن الع ارق الخرى .

سادت الع ارق حقبة من الاستق ارر دامت ق اربعة نصف قرن، تخللها عدد من الاضط اربات في منطقة البصرة نتيجة الثورات القبلية . وقد ادرك سلمان القانوني اهمية العراق وان ضياعه يعني تجديد الاطماع الايرانية فعمل على التمسك به ، وجند في سبيل ذلك امكانات مالية وعسكرية كبيرة تخديا لايران واصرارا على الوقوف أمام أطماعها ، واصبحت السياسة العثمانية في عهد قوة الدولة تقوم على الحفال على العراق وعدم التساهل في التنازل عن أي جزء منه .

واختار العثمانيون لولاية الع ارق رجالا امتازوا بالبح أرة والبسالة جاءوا الى الع ارق وو ارءهم أمجاد عريضة في سوح المعارك ، وكان لدى قسم منهم كفاءة ادارية ، فنشطوا في تأمين النظام داخل المدن ،

وفي قتال القبائل البدوية خارجها ، وسد تدخلات الصفويين عبر الحدود . وشيد بعض اولئك الولاية في بغداد عددا من الجوامع والمدارس من ابرزها جامع المرادية الذي شيده والي بغداد مراد باشا كما عمر والي بغداد سنان باشا جغال زاده جامع الصاغة أو جامع الخفافين ، وأعاد بناء التكية المولوية ( التي عرفت فيما بعد باسم جامع الأصفية ) ، كما بني خانا ملاصقا للمدرسة المستنصرية مما دل على ازدهار الحالة الاقتصادية . وبني حسن باشا الصوقلي جامع الوزير في بغداد، وهو اول جامع يشيد بالحجر الذي جلب من الموصل عن طريق نهر دجلة ، و احيا اجزاء من الأراضي الزراعية ، كما وسع الخندق المحيط بسور المدينة و شيد سوقا وخانا ونشطت الحياة التجارية نشاطا ملحوظا في هذه الحقبة ، واصبحت بغداد مركزا تجاريا مهما .

فقد زارها عدد من الرحالة والتجار الأجانب ودو نوا انطباعاتهم عنها . و اشار بعضهم الى مافيه من ارصفة للمراكب ، وبضائع تباع بأسعار رخيصة ، ودار لضرب النقود الذهبية



والفضية والنحاسية.

تم أخذ الوضع العام في العراق با تدهور ، وبدأت الفوضى وعدم الاستقرار بالانتشار مع مطلع القرن السابع عشر، وكثرت الحركات فاستغلها الصفويون المتربصون بالحق ارق لغزوه . و ترجع هذه ؛ كاله إلى الوهن الذي دب" في أوصل الدولة العثمانية نفسها منذ أواخر القرن السادس عشر نتيجة لعوامل داخلية وخارجية متشابكة، منها: ضعف شخصيات السلاطين وتضاؤل قد ارتهم وقابلياتهم وفساد الجهاز الإداري والعسكري، و تمردات الانكشارية ، وتدخل الحريم في شؤون الدولة ، والأزمة الاقتصادية المتمثلة في هبوط قيمة العملة(2)\* ( وتزايد قوة

(\*) في الوقت الذي كانت فيه الدولية تعاني ضائقة اقتصادية في النصف الثاني من القرن

السادس عشر بسبب عوامل متشابكة ، حدث تطور عمق تلك الضائقة ، فقد تدفقت الفضة

أعداء العثمانيين في اوربا ولاسيما روسيا والامبراطورية الرومانية المقدسة . فأدت هذه الحالة

الى الاستهانة بهيبة الدولة في مختلف ارجاء البلاد ، وظهور حركات انفصالية في ولاياتها

البعيدة ، و منها العراق حيث حاول أحمد الطويل في بغداد وابنه محمد الطويل واخوه مصطفى

الطويل الاستقلال وقد رافق ذلك انقسام داخلي وهجمات ايرانية الاحتلال بغداد . الا ان اخطر

هذه المحاولات كانت محاولة بكر صوباشي لانها أدت الى احتلال الصفويين لبغداد ومناطق

اخرى من الع ارق في ١٦٢٣م.

**حركة بكر صوباشي ١٠٣٣ - ١٠٣١ هـ / ١٦٢٣-١٦٢١م والغزو الايراني للعراق**

ذكرنا أن تردي الأوضاع وضعف السلطة المركزية هيا الظروف لظهور عدد من المغامرين

الطامعين بالسيطرة على مقاليد الأمور في الولايات العثمانية ومن هؤلاء بكر صوباشي الذي بدأ

حياته جنديا انكشاريا ، وتدرج في منصبه في بغداد حتى أصبح صوباشي ( قائدا للشرطة)

وصاحب النفوذ الأول بين الانكشارية . وتمكن من أن يحيط نفسه بعدد كبير من السكبانية)

من فرق المشاة المحلية رماة البنادق ) و 0001 من العزب ( من فرق المشاة غير النظامية التي تتقدم الجيش العثماني أثناء الهجوم ) واربعة آلاف من الانكشارية . وقيل ان عدد القوات التي كانت تأتمر بأمره بلغ 000ر ١٢ رجل .. و بدأ توذ بكر يلفت النظر منذ عام ١٦١٩م . فترأس بعد عامين حملة تأديبية ضد بعض القبائل في الفرات الاوسط التي هددت الأمن . ثم أقام ابنه محمد في مركز الصوباشي في بغداد ، واستغل الوالي غياب بكر عن بغداد فهاجم الرخيصة الى بلاد البحر المتوسط من العالم الجديد بواسطة المستعمرين الإسبان ، فارتبك النقد العثماني تبع لذلك وانهارت قيمة وحدته الفضية وهي الاقجة المعروفة باسم (اسبر) وقد ارتفع سعر الذهب و قل وجوده بمسبب ازدياد قيمته بالنسبة الى الفضة . ولعلاج ذلك أصدرت الدولة العثمانية وحدة نقد فضية جديدة في عام ١٦٢٠م هي البارة ( وزنها ١,٠ غرام ) و لكنها لم تقدر في معالجة التضخم النقدي . وفشلت كذلك محاولة اخرى لاصدار عملة جديدة هي القرش -بيا ستر ( تعادل ٤٠ بارة ) في أواخر القرن السابع عشر .

13

داره و نهبها ، وحينما علم بكر بما وقع أسرع بالعودة إلى بغداد التي تحولت الى ميدان حرب بين أنصاره وأتباع الوالي . وحاصر بكر القلعة وقصفها ، فقتل والي بامداد بطلق ناري واضطر المحاصرون إلى الاستسلام.

وتسلم بكر صوباشي حكم بغداد ، وإرسل يطلب من السلطان العثماني الانعام عليه بباشوية الولاية . ولكن الدولة علمت بتطورات الموقف ورفضت ذلك وعذته متمردا على السلطة الشرعية وعينت واليا على بغداد هو سليمان باشا والي ديار بكر . فأرسل سليمان كهيته علي اغا لتسلم المدينة. ولكن صوباشي طرده ، كما دخر القوة التي سار على رأسها الوالي الجديد ، فعينت واحدا من ابرز القادة العسكريين العثمانيين آنذاك وهو حافظ احمد باشا لقيادة الحملة الجديدة ضد بكر.

تقدم حافظ احمد على رأس جيش كبير وهزم القوة التي أرسلها بكر للتصدي له ، و احكم الحصار على بغداد . وقرر بكر وقد أرى الخطر المحدق به ، الاستعانة بالشاه عباس الصفوي (١٠٣٨ - ٩٨٩ هـ / ١٦٢٩ - ١٥٨١ م) فبعث برسول إلى حسين خان حاكم لورستان ليعرض على الشاه استعداده لجعل الخطبة والسكة في بغداد باسم الشاه . بشرط ان يبقى حاكما عليها . فوافق الشاه فورا وأرسل جيشا من ٣٠,٠٠٠ رجل بقيادة صفي قلي خان حاكم همذان لاخترق العراق . وحينما وصل هذا الجيش خانقين ، أدرك حافظ أحمد حراجة الموقف ، فأرسل فرما يا باسم السلطان يتضمن العفو عن بكر وتوليته بغداد ، ثم انسحب باتجاه الموصل الى ديار بكر . وبذلك حقق بكر صوباشي طموحه ، واخذه يسعي للخروج من ورطته مع الشاه فأرسل وفدا اجتمع بصفي قلي خان لتقديم الشكر إلى الشاه عباس على مساعدته و للاعلان عن استعداده لتحتل نفقات الحملة الإيرانية كافة • ولكن الشاه ، تقدم على رأس جيش جديد الاحتلال بغداد ، وشجعه على ذلك انشغال الدولة العثمانية في تلك الآونة بتمرد الانكشارية الذي أطاح السلطان عثمان الثاني و تنصيب السلطان الجديد مراد الرابع •

استعد بكر صو باشي للمقاومة، وحاد مرت القوات الايرانية بغداد في ربيع الاول ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م . واستمر الحصار نحو ثلاثة اشهر عانى منه الاهالي كوارث واهوالا حتى اضطر الناس الى اكل لحوم الكلاب . وحلت النكبة حينما سلم محمد بن بكر صوباشي القلعة التي اوكل اليه الدفاع عنها ، مدفوعا بالرغبة في الحكم تحت ظل أي سيد ، أو ليأسه من الاستمرار في الدفاع ، كما يقول بعض المؤرخين . فتدفقت قوات الشاه الى بغداد في ٥ صفر ١٠٣٣ هـ / ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣ م ، وذب الجيش الصفوي كل من كان به سادفه من المشتبه بهم من انصار بكر ، وقبض على الآلاف . وينقل المؤرخ نظمي زادة عن أبيه الذي كان شاهد عيان لدخول الفرس بأن « من سلم من القتل لم يسلم من التعذيب » ، وقبض الشاه على بكر

، وبعد ان عذبه بوحشية أمر بقتله ، وهنه كرم ولده الخائن باغداقه الهدايا عليه ، وبعد ان أمضى الشاه عباس في بغداد والمناطق التي استولى عليها من العراق حوالي اربعة اشهر ، غادرها الى بلاده « بعدما ترك بغداد يلفها الخراب والدمار » و وعين على بغداد حاكم همدان صفي قلي خان . وهكذا انتهت حركة بكر صوباشي بخروج بغداد من ايدي العثمانيين واحتلال الصفويين لها ، وقدر للمدينة أن تعاني مجددا الوانا من الماسي والفواجع.

### الفصل الثالث / العثمانيون يستعيدون حكم العراق

#### محاولات العثمانيين لاستعادة العراق

كان سقوط بغداد في ايدي الصفويين أمرا في غاية الخطورة بالنسبة الى الدولة العثمانية ، وعلى الرغم من مرحلة الضعف التي كانت تمر بها آنذاك ، فانها لم تتوان عن محاولة واستعادة أنبل مدن آسيا . فارسلت عام ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م ، حملة بقيادة الصدر الأعظم حافظ باشا فتقدم وحاصر بغداد ستة أشهر ، ولم ينجح في دخولها . فتقدم على رأس جيشه للاحتفاظ بالمدينة ، ووقعت المواجهة بين الجيشين العثماني والصفوي . ولكن طول مدة الحصار من جهة ، وما كانت تعانيه القوات العثمانية من نقص في المون والذخيرة والخيول من جهة اخرى ، دفعت بالانكشارية الى التمرد على الصدر الأعظم ، مما أجبره على الانسحاب .

ثم ارسلت الدولة العثمانية حملة ثانية بقيادة خسرو باشا في ١٦٣٠ - ١٦٢٩ / ١٠٣٩م حاصرت بغداد اربعين يوما ، انسحب بعدها خسرو إلى الموصل ، دون ان يحقق غرضة ولما ولى السلطان م ارد ال اربع نجح في القضاء على روح التسيب والفتنة في الدولة ، واعاد

القانون

والانضباط واهتم باستعادة بغداد واعد حملة استعدادا دقيقا.

تحرك السلطان على رأس قواته من اسكودار في شوال سنة 0471هـ / 8163م ، والتحتت بالجيش خلال التقدم قوات من عدد من مدن الاناضول اضافة الى عدد كبير من القبائل العربية بقيادة ( امير الصحراء ) ابن ابي ريشة ، وقام رجال هذه القبائل بدور مهم في تمهيد الطريق أمام قوات السلطان وتزويدها بالمؤن ايام حصارها لبغداد . وفي منتصف تشرين الثاني 8163م ، وصلت القوات العثمانية قرب بغداد وأقيم معسكر السلطان بالقرب من الاعظمية . وكانت بغداد تقوم على الجانب الشرقي من دجلة ، ويحيط بالمدينة سور لوله ثلاثة أميال مبني بالأجر ويكتنفه خندق عرضه ستون ذارعا يسده نهر دجلة بالمياه ، وكان قسم من السور المحيط بالجهة الشرقية من المدينة داريا تقريبا ويبلغ ارتفاعه ما بين 10 إلى 15 ذراعا . وتنتصب في الزوايا الرئيسية من السور ابراج كبيرة اقيمت فيها المدافع ، في حين تقوم ابراج أصغر تقع على مسافات قصيرة فيها عددها مائة وثمانية عشر برجاً في جوانب السور المواجهة للبر و اربعين برجاً تشرف على النهر ، وكان بين كل برج و آخر خمسون فتحة لاطلاق نيران المدافع والبنادق ، وبين كل فتحة واخرى خطوة واحدة . وفي الازوية الشمالية الغربية من السور تنتصب القلعة الداخلية التي يطوقها جائط مفرد يبدأ من باب المعظم الى دجلة ، ترتفع عليه ابراج صغيرة نصبت فيها المدافع ، و يحرق سورها خندق ضيق . وهذه القلعة تضم الثكنات ومخازن الذخيرة و المؤن بالاضافة الى الخزينة ، والى جوارها من جهة الجنوب يقوم السراي حيث مقر الوالى • وفي الأسوار ابواب اربعة : ثلاثة منها من جهة البر وهي : " باب المعظم في الشمال ، والباب المظلم او باب كلوادي في الجنوب ، والباب الابيض او الباب الوسطاني في الشرق . اما الباب الاربع فهو يواجه النهر ويسمى باب الجسر ، والأخير يربط ما بين بغداد والجهة المقابلة من دجلة حيث تنتصب قلعة الطيور . كان عدد افراد الحامية الايرانية يزيد على 30000 رجل معززة بالسلاح والذخيرة ، وبعد حصار دام اربعين يوماً تمكنت القوات العثمانية من السيطرة على الابراج كافة . فطلب التسليم وايقاف

القتال ووافق السلطان على الطلب ، وتم الاتفاق على انتهاء المقاومة وانسحاب الايرانيين من بغداد ، ولكن بعض المدافعين رفضوا الانصياع لأمر التسليم فاستمرت الاشتباكات وعمت

16

الفوضى وحوادث النهب والقتل، وكانت خسائر الجانبين كبيرة جدا ، وقتل معظم رجال الحامية ولما توقفت الاشتباكات أصدر السلطان اوامره بالمحافظة على حياة السكان المدنيين وعدم التعرض لممتلكاتهم . ثم اتخذ الإجراءات لتنظيم ادارة بغداد ، فعين كجك حسن أغا الانكشارية واليا كما ترك حامية من ٨٠٠٠ انكشاري بقيادة بكتاش أغا وأمر الصدر الأعظم باعادة بناء الأسوار والاستحكامات . ثم غادر بغداد عائدا الى القسطنطينية.

الجنوب ، والباب الأبيض أو الباب الوسطاني في الشرق . اما الباب ال اربع فهو يواجه النهر ويسمى باب الجسر . والأخير يربط ما بين بغداد و الجهة المقابلة من دجلة حيث تنتصب قلعة الطيور . : كان عدد افراد الحامية الايرانية يزيد على ٣٠٠٠٠ رجل معززة بالسلاح والذخيرة. وبعد حصار دام أربعين يوما تمكنت القوات العثمانية من السيطرة على الابراج كافة . فطلب التسليم وايقاف القتال ووافق السلطان على الطلب ، وتم الاتفاق على انتهاء المقاومة وانسحاب الايرانيين من بغداد . ولكن بعض المدافعين رفضوا الانصياع لأمر التسليم فاستمرت الاشتباكات وعمت الفوضى وحوادث النهب والقتل، وكانت خسائر الجانبين كبيرة جدا ، وقتل معظم رجال الحامية . ولما توقفت الاشتباكات اصدر السلطان اوامره بالمحافظة على حياة السكان المدنيين وعدم التعرض لممتلكاتهم . ثم اتخذ الاجراءات لتنظيم ادارة بغداد ، فعين كجك حسن أغا الانكشارية واليا كما ترك حامية من ٨٠٠٠ انكشاري بقيادة بكتاش أغا وامر الصدر الأعظم باعادة بناء الأسوار والاستحكامات . ثم غادر بغداد عائدا إلى القسطنطينية. .

**تثبيت حدود العراق الشرقية**

وامضى الصدر الأعظم مصطفى باشا قرابة الشهرين في بغداد أهتم خلالها باعادة بناء

التحصينات ، وبناء ماتهدم من المنازل والاسواق ، وأعادة زرع البساتين . وقرر تأمين بغداد من الشرق ، فتحرك على أرس قواته متجها شرقا ، ثم وصل اليه مبعوث من الشاه طالبا انهاء العداوات . و وافق الصدر الأعظم على العرض و ارسل رسالة إلى الشاه طالبا منه أن يرسل شخصا مخولا بصلاحيه مطلقة لتحقيق شروط السلام بين الدولتين . وعين الشاه مبعوثا لهذه الغاية وجرت المفاوضات بين الجانبين في زهاب ، وفي ١٤ محرم ١٠٤٩ هـ / ١٧ مايس ١٦٣٩ م ، تم التوصل إلى معاهدة لتحديد الحدود ، وتعد هذه المعاهدة اكمل المعاهدات التي عقدت بين الجانبين العثماني والایراني حتى ذلك الوقت ،وقد ظلت تلك الحدود ، على الرغم من عدم دقة رسمها ، ثابتة تقريبا ، لأكثر من قرنين من الزمن. وشكلت معاهدة زهاب هذه ، نقطة الارتكاز حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما قامت لجان مشتركة على رسم الحدود، ومما جاء في تلك المعاهدة أن تظل ضمن ولاية بغداد جسان وبدرة ومندلي و در تنك ودرنة والسهول الواقعة بين مندلي و در تنك . كما تبقى اجزاء من هارونية التي تقطن فيها قبائل الجاف وضياء الدين ضمن حدود الولاية وتهدم قلعة زنجير ، والقرى الواقعة غربها تابعة للسلطان ، اما القرى الواقعة شرقها فتابعة للشاه . وخط الحدود في شهرزور هو الشعب المؤدي اليها . وتظل تابعة للسلطان قلعة قزلجة مع توابعها . ويتعهد الشاه بعدم التحرش والتعرض لقلاع اخسحة وقارص و شهرزور وبغداد والبصرة والمناطق الواقعة ضمن الحدود ، وبعدم تشجيع حركات التمرد ضمن هذه الأماكن .

### الأحوال العامة

سببت سنوات الاحتلال الصفوي وحروب الاسترداد العثمانية الكثير من الدمار والخ ارب في بغداد . وقد تميز تاريخ ولاية بغداد حتى اوائل القرن الثامن عشر بالاضط ارب وكثرة تغيير

الولاية

، اذ حكم في الحقبة ١٠٤٩ هـ / ١٦٣٩ م / ١١١٦ هـ - ١٧٠٤ م تسعة وثلاثون واليا ، لم يترك واحد منهم عند عزله او نقله أثرا يذكر باستثناء اربعة قام احدهم ببناء ثلاثة أبراج لسور بغداد وجامع الأزبك ، وبني الثاني جامع الخاصكي ، وقام الثالث بتطهير نهر الدجيل ، اما الرابع فبنى مدرسة قرب جامع القمرية. وقد ساعدت سرعة تغيير الولاة على خلق حالة عدم الاستقرار .

ومن المظاهر الاخرى لهذا المعهد، كثرة تمردات الانكشارية، واضطرب حالة الأمن خارج اسوار المدن وادي ذلك إلى نتائج اقتصادية سيئة في الزراعة والتجارة . ورافق ذلك كثرة الأوبئة والفياضانات والقحط التي اسهمت في تعطيل الفعاليات البشرية . وبلغ التدهور الاقتصادي درجة بحيث أن علي باشا والي بغداد سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م أرسل في طلب ٤٠٠ كيس اقجة لدفع رواتب الجند المحليين بسبب عجز خزينة الولاية . وذكر الرحالة تافرنبيه بغداد في منتصف القرن السابع عشر أن عدد جوامع بغداد عندما ازرها كانت خمسة ، اثنان منها حسنا العمارة ، وانه كانت فيها عشرة خانات كلها غير عامرة الا اثنين منها كانا أحسن من سائرهما) والمدينة من حيث الحكم العام غير عامرة خالية من مظاهر الجمال عدا الأسواق المسقفة(.. اما ولاية البصرة ، فقد انتهى حكم اسرة افراسياب في ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م اثر حملة قادها والي بغداد قرة مصطفى وهرب على اثرها آخر امرائها حسين افراسياب، و بذلك ربطت الولاية بشكل مباشر بالدولة. ولكن الولاية كانت اوضاعها غير مستقرة وعانت موجات من الفوضى والاضطراب سببها ثورات العشائر . وقد تمكن مانع بن مغامس شيخ قبائل المتنفق من السيطرة على البصرة عام ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م ولم يتمكن والي بغداد من استعادتها. واعقب ذلك دخول حاكم الحويزة بالمدينة وضمها الى ممتلكاته عندما اعيدت المدينة للسيطرة العثمانية اثر حملة قام بها والي بغداد ، بعد ان تقوى بنجيدات عثمانية ارسلت الى الع ارق.



اما ولاية الموصل فقد استطاع الشاه عباس أثر احتلاله لبغداد في ١٦٢٣م من غزوها  
ومد سلطانه الى كركوك ، ولكن الاحتلال الصفوي للمدينة لم يدم طويلا ، اذ تمكنت قوة  
عثمانية صغيرة يقودها كوجك احمد باشا من طرد الحاكم الصفوي قاسم خان ، كما طردت  
القوات الصفوية من كركوك في ماس ١٦٢٥م ، وبصورة عامة ، كانت احوال ولاية الموصل  
أكثر استقار من اوضاع الولايات العارقية الأخرى ، وقد ساعد ذلك على نشاط الحركة  
التجارية والحرفية فيها بحيث فاقت مدن العارق الأخرى.